كتاب الاستغفار

٣٧١ – باب الاستغفار وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ – ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح

ختم المؤلف – رحمه الله تعالى – كتابه بالاستغفار والتوبة، لأن الله – سبحانه وتعالى – أمر نبيه ﷺ في آخر حياته فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣]. فالمؤلف - رحمه الله - ختم بالاستغفار هذا الكتاب العظيم النافع الذي ينتفع به المسلمون في أقطار الدنيا كلها، العامة وطلبة العلم.

وهذا الكتاب - رياض الصالحين - من أبرك ما رأيت من الكتب في انتفاع الناس به مما يدل على حسن نية مؤلفه - رحمة الله عليه -.

الاستغفار: هو طلب المغفرة، وما من إنسان إلا وهو خطاء كما قال النبي ﷺ: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"(١) والخطأ الذي يصدر من بني آدم: إما تقصير في واجب، أو فعل لمحرم ولا يخلو الإنسان من ذلك، ولكن دواء الذنوب الاستغفار - والحمد لله - وفي الأثر: 'أن الشيطان يقول: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بـ "لا إله إلا الله" والاستغفار فالاستغفار سبب للمغفرة، ولذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن، وساق منها المؤلف جملة صالحة ومنها:

قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلم بأنه لا معبود حقًّا إلا الله، وأمره أن يستغفر فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ هذا وهو النبي ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمر أن يستغفر لذنبه، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وكذلك

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٤٢٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم(٤٢٤١).

أثنى الله تعالى على المستغفرين في آيات كثيرة ومنها: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]. وهم الذين يستغفرون الله في آخر الليل، قال العلماء: وذلك أنهم يتهجدون ويعبدون الله ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة، هذا مع أنهم مجتهدون قائمون الليل، ومع ذلك هم يستغفرون خوفًا من التقصير، فينبغي للإنسان أن يكثر من استغفار الله - عزَّ وجلَّ -.

* * *

١٨٦٩ - وَعَنِ الأَغَرِّ المُزَنِّي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"[١] رواه مسلم.

١٨٧٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: "وَالله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"[٢] رواه البخاري.

١٨٧١ - وَعَنْه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَب اللهُ تَعَالى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنبون فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهم"[٣] رواه مسلم.

١٨٧٢ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار، رقم(٤٨٧٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ، رقم(٥٨٣٢).

(٣) رواه مسلم: كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم(٤٩٣٦).

فِي المجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائةَ مرَّةٍ: "ربِّ اغفرْ لِي، وتُبْ عَلَيَّ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ[(١)]". رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ صحيحٌ.

١٨٧٣ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيثُ لا يحتسبُ[(٢)]" رواه أبوداود.

١٨٧٤ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ الحيَّ القيُّوم وَأَتُوبُ إليه، غُفِرَتْ ذُنوبُه وَإِنْ كَان قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ[(٣)]" رواه أبوداود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

الشــرح

سبقت الآيات التي ذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - والتي فيها الحث على الاستغفار، والثناء على أهله، ثم ذكر المؤلف أحاديث متعددة في ذلك.

منها قوله عن النبي محمد ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال ﷺ فيما رواه عنه الأغر المزني ﷺ: "إنه ليغان على قلبي" يعني

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٢٩٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، رقم(٣٣٥٦)، لفظ الترمذي (التواب الغفور).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٢٩٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب الاستغفار، رقم(٣٨٠٩).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٢٩٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء الضيف، رقم(٣٥٠١).

يحدث له شيء: من الكتمة والغم وما أشبه ذلك "وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" يقول: أستغفر الله، في اليوم مائة مرة! هذا وهو النبي ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فكيف بنا!! ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب ولا يهتم الواحد منا بما فعل، ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا، وهو قليل الاستغفار. والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله ﷺ يُكْثِر من الاستغفار كما قال ابن عمر رضي الله عنهما "إننا نعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر: رب اغفر لي وتُب علي إنك أنت التواب الرحيم".

وكذلك أخبر النبي ﷺ أن من نعمة الله على العباد أنه إذا ابتلاهم بالذنوب فاستغفروا الله غفر لهم وأنه قال: "لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" وهذا حث على أن يستغفر الإنسان ربه ويكثر من الاستغفار، لأنه ينال بذلك درجة المستغفرين الله - عزَّ وجلَّ - وكذلك أخبر فيما رواه أبوداود: "أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب".

"ومن لزم الاستغفار": يعني داوم عليه، وأكثر منه، فإنه يفرج عنه الكروب، وتوسع له الضيقات، ويوسع له في رزقه، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

والأحاديث في فضل الاستغفار والثناء على أهله والحث عليه كثيرة،

فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، وأكثر من قول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، أستغفر الله وأتوب إليه، وما أشبه ذلك، لعلك تصادف ساعة إجابة من الله -عزَّ وجلَّ- فيغفر لك فيها والله الموفق.

* * *

١٨٧٥ - وَعَنْ شدَّادِ بْن أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يقولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي، لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ خلقْتَني وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بذنْبي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَـهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقنًا بِها، فَماتَ مِنْ يَوْمِه قَبْل أَنْ يُمسيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَـهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوْقِنٌ بِهَا فَماتَ قَبْلَ أَنْ يُصبح، فَهُو مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ[١]" رواه البخاري.

"أبوءُ" بباء مضمومة ثم واو ممدودة، ومعناه: أُقرُّ وأعترفُ.

١٨٧٦ - وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِه، اسْتَغفَرَ اللهَ ثلاثًا وَقَالَ: "اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام" قِيل للأوزاعي -وهو أحدُ رواته- كَيف الاستغفارُ؟ قال: يقول: أستغفرُ الله، أستغفر الله[٢] رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم(٥٨٣١).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته،

الشــرح

هذه الأحاديث ساقها النووي – رحمه الله تعالى – في باب الاستغفار منها حديث شداد بن أوس أن النبى ﷺ قال: "سيدُ الاستغفار": يعني أشرف الاستغفار وأفضله "أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" من قالها حين يصبح موقنًا بها ثم مات من يومه قبل أن يمسي دخل الجنة. ومن قالها حين يمسي موقنًا بها ثم مات قبل أن يصبح دخل الجنة.

يقول: "سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك" فتقر لله – عزَّ وجلَّ – بلسانك وبقلبك أن الله هو ربك المالك لك، المدبر لأمرك، المعتني بحالك، وأنت عبده كونًا وشرعًا: عبده كونًا يفعل بك ما يشاء، إن شاء أمرضك، وإن شاء أصحك، وإن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن شاء أضلك، وإن شاء هداك، حسبما تقتضيه حكمته – عزَّ وجلَّ – وكذلك أنت عبده شرعًا تتعبد له بما أمر، تقوم بأوامره وتنتهي عن نواهيه، تقر بذلك: "اللهم أنت ربي لا إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استعطت"، تقر بأن الله خلقك، هو الذي أوجدك من العدم، وأنك على عهده ووعده ما استطعت، على عهده، لأن كل إنسان قد عاهد الله عزَّ وجلَّ أن يعمل بما علم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

رقم(٩٣١).

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فمتى أعطاك الله علمًا فإنه قد عهد إليك أن تعمل به، "وعلى وعدك" . أي تصديق وعدك، ما وعدت أهل الخير من الخير وما وعدت أهل الشر من الشر، ولكن أنا على وعدك أي في الخير، لأنك في هذه الكلمات تتوسل إلى الله -عزَّ وجلَّ-.

"أعوذ بك من شر ما صنعت": يعني أنت تعوذ بالله من شر ما صنعت، لأن الإنسان يصنع خيرًا فيثاب، ويصنع شرًّا فيعاقب، ويصنع الشر فيكون سببًا لضلاله كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]. فأنت تتعوذ بالله من شر ما صنعت.

"أبوء لك بنعمتك علي": يعني أعترف بنعمتك العظيمة الكثيرة التي لا أحصيها "وأبوء بذنبي" أعترف به "فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم" فاحرص على حفظ هذا الدعاء وحافظ عليه صباحًا ومساءً، إن مت من يومك فأنت من أهل الجنة، وإن مت من ليلتك فأنت من أهل الجنة.

ثم ذكر أحاديث أخرى منها حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" . إذا انصرف يعني إذا سلم.

أول ما تبدأ بعد أن تسلم من الفريضة تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله ثلاث مرات. كيف تقول: أستغفر الله، وأنت صليت وأديت طاعة؟! لأن طاعتك هذه لا تخلو من نقص وخلل فتستغفر الله تعالى مما حصل فيها من خلل، ونظير ذلك أن المجتهدين المتهجدين في الليل إذا فرغوا

من تهجدهم استغفروا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]. وتقول: "اللهم أنت السلام ومنك السلام". "أنت السلام" يعني: السالم من كل نقص وعيب، "ومنك السلام" يعني: منك السلامة، لولا الله – عزَّ وجلَّ – ما سلمنا ولا عملنا ولا قمنا ولا قاتلنا، "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" وليس فيها في هذا الموطن "وتعاليت" ولكن في أحاديث أخرى "يا ذا الجلال والإكرام" : أي عظمت خيراتك وبركاتك ونعمك على عبادك: فينبغي للإنسان أن يستغفر بعد صلاة الفريضة ثلاث مرات ويقول: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" .

* * *

١٨٧٨- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالى: "يَا ابْنَ آدمَ إِنَّك مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشركُ بِي شيئًا لأتيْتُكَ بقُرابِهَا مغفرة"(١) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

"عَنان السماء" بفتح العين: قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عن لك منها، أي ظَهَرَ، وقُرابُ الأرض" بضم القاف، وروي بكسرها، والضَّمُّ

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، رقم(٣٤٦٣).

أشهرُ، وهو ما يُقارب ملأها.

١٨٧٩ – وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي الله عنهما أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّساء تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرنَ مِن الاسْتِغْفَارِ، فَإِنِّي رَأيتُكُنَّ أَكْثَر أَهْلِ النَّارِ" قَالت امرأةٌ مِنْهنَّ: مَا لَنَا أكثرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قال: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وتَكْفُرْنَ العشيرَ، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لُبٍّ منكُنَّ" قالتْ: ما نُقْصَانُ العقلِ والدِّين؟ قال: "شهادةُ امرأتين بشهادةِ رَجُلٍ، وتمكُثُ الأَيَّامَ لا تُصَلِّي(١)" رواه مسلم.

الشـــرح

نقل المؤلف – رحمه الله تعالى – أحاديث كثيرة، حول الاستغفار والحث عليه:

منها: أن الله – سبحانه وتعالى – قال: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك"؛ يعني مهما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك، لأن الله – سبحانه وتعالى – عند ظن عبده به كما ثبت ذلك عنه – تبارك وتعالى – في الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عن ربه أن الله تعالى قال: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه(٢)".

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم(١١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾، رقم(٦٨٥٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم(٤٨٥١).

وفيه أيضًا أن الله – سبحانه وتعالى – قال: "يا ابن آدم لو أتيتني بقراب **الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"** فهذا يدل على أن الإنسان مهما عمل من الذنوب إذا استغفر الله تعالى ورجع إليه فإن الله تعالى يغفر له.

فضيلة الاستغفار أن الله تعالى قال: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني إلا غفرت لك" وعنان السماء يعني أعلاها يعني أن الإنسان لو كان له ذنوب بلغت عنان السماء ثم استغفر الله سبحانه وتعالى غفر له لأن الله تعالى قال ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيما – أي ذنب تفعله أيها الإنسان ثم تستغفر الله فإن الله تعالى يغفر لك.

وكذلك أمر النبي ﷺ النساء أن يكثرن من الصدقة والاستغفار حيث رآهنَّ أكثر أهل النار، فدل هذا على أن الاستغفار من موانع دخول النار، فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، أكثِر من قول: أستغفر الله، اللهم اغفر لي وارحمني... وما أشبه ذلك، وهو كلام يسير لا يضرك ولا يشق عليك، والله الموفق.

* * *

٣٧٢ - باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا

يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشـــرح

ختم المؤلف - رحمه الله - كتابه ببيان ما أعده الله للمؤمنين من النعيم المقيم، جعلني الله وإياكم منهم ونرجو أن يكون هذا تفاؤلاً حسنًا وأن يختم الله لنا ولكم بعمل أهل الجنة، وأن يكون قد غفر لمؤلف الكتاب وختم له بعمل أهلَ الجنة.

ذكر الله تعالى في كتابه العظيم آيات كثيرة فيها بيان ما أعد الله لأهل الجنة، ومن أجمع الآيات قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣١ - ٣٢]. فكل ما يشتهي الإنسان من نعيم فإنه في الجنة، وكل ما يطلب فإنه في الجنة، بل أكثر من ذلك قال الله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]. وقال جل ذكره ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]. يعني أنه لا يمكن للإنسان أن يحيط علمًا بحقيقة ما أعد الله لأهل الجنة فيها، لأنه فوق ما يتصور الإنسان، وما يوجد من نعيم الدنيا فإنه نموذج نموذج نموذج!! لا ينسب لشيء من نعيم الآخرة! لكن الله تعالى أرى عباده شيئًا من النعيم وشيئًا من العذاب في الدنيا حتى يعتبروا به فقط وإلا فبين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فرق لا يمكن إدراكه، ولا الإحساس به.

والجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى لأوليائه المتقين، وقد بدأ المؤلف

بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥ – ٤٦]. يعني يقال لهم: ادخلوها بسلام آمنين، من كل آفة، من كل مرض، من الهرم، من الموت، من كل شيء. ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الحجر: ٤٧]. يعني أنهم دخلوا الجنة على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا ونقوا وبقيت قلوبهم صافية ليس فيها غل دخلوا الجنة بعد أن ينزع الله ما في قلوبهم من غل.

وقوله: ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ . السرر: جمع سرير وهو ما يجلس عليه. وقوله: ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ يعني أنهم على جانب من الأدب العظيم في جلوسهم لا يستدبر بعضهم بعضًا ولكنهم متقابلون. قال بعض العلماء: لأنهم يجلس بعضهم إلى بعض على حلقة واسعة. والحلقة لا يتدابر فيها الجالسون، كل واحد مقابل للآخر. ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]. يعني لا يمسهم تعب وإعياء، ولا يخرجون منها بل هم ساكنوها أبد الآبدين.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨ – ٧٣]. ينادي الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين يوم القيامة إذا دخلوا

الجنة يقول: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾. الخوف مما يستقبل والحزن من الماضي، ذلك لأنهم نالوا كمال النعيم، فلا يخافون من مستقبل ولا يحزنون على ماض؛ لأنه كمل لهم النعيم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾. آمنوا بقلوبهم وكانوا مسلمين بجوارحهم منقادين لأمر الله عزَّ وجلَّ - لا يعصون الله، لا بفعل محرم ولا بترك واجب ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠]. يعني تنعمون، وأزواجكم هم الحور العين، وزوجاتهم في الدنيا أيضًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]. فهم وأزواجهم يحبرون أي في مكان حبر، أي أنهم منعمون مترفون، فيها من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ ولم يبين الله تعالى من يطوف عليهم في هذه الآية لكن بينها في آيات أخرى فقال: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٩].

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ أي في مكان إقامة آمنين كما سبق آمنين من كل شيء ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ هذا لباسهم وهو أعلى أنواع الحرير.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى

ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨]. الأبرار هم الذين فعلوا الخيرات وتركوا المحرمات مأخوذة من البر وهو القيام بطاعة الله ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾. يعني أنهم في نعيم في القلب وفي نعيم في البدن فهم في أسر ما يكون جعلنا الله وإياكم منهم - ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾. الأرائك: جمع أريكة وهي السقف المغطاة المزخرفة المزينة ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ ما أعد الله لهم من النعيم في هذه الجنات ويشمل ذلك النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾. أي أنك إذا رأيتهم عرفت أنهم منعمون، لأن وجوههم نضرة حسنة جميلة. ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾. أي يشربون من صافي الشراب، مختوم: يعني له خاتمة وهي: رائحة مسك طيبة، وفي هذا الثواب والأجر والنعيم فليتنافس المتنافسون. والله الموفق.

* * *

١٨٨٠ - وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يأكُلُ أهلُ الجنة فيها، ويشربُون، ولا يتغوَّطون، ولا يمْتَخَّطُون، ولا يَبُولُون، ولكن طعامُهُمْ ذلك جُشاءٌ كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير، كما يُلْهَمُون النَّفَسَ[(١)]". رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها، رقم(٥٠٦٧).

١٨٨١ - وعَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "قَالَ اللهُ تَعَالى: أعدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحينَ مَا لَا عَينٌ رَأتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعتْ وَلَا خَطرَ على قَلْبِ بَشرٍ، واقْرَؤُوا إنْ شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]."[١] متفق عليه.

١٨٨٢ - وعنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُون الجنَّة عَلى صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ، ثُمَّ الذِين يَلُونَهُمْ عَلَى أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماء إضاءةً، لا يبُولون ولا يتغوَّطُون، ولا يتْفلُون، ولا يمتخَّطُون. أمشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ورَشْحُهُمُ المسكُ، ومجامرُهُمُ الأُلُوَّةُ - عودُ الطيِّب - أزواجهُمُ الحورُ العينُ على خلقِ رجُلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدَمَ سِتُّون ذراعًا في السماء[٢]" متفق عليه.

وفي رواية للبخاري ومسلم: "آنيتُهُمْ فيها الذهب، ورشْحُهُمُ المِسْكُ ولِكُلِّ واحد منهم زوجتان يُرَى مُخُّ سُوقهما من وراء اللَّحْمِ من الحُسْنِ، لا اختلافَ بينهم، ولا تباغُضَ: قُلُوبهم قلبُ واحدٍ، يُسَبِّحُون الله بُكرةً وعَشِيًّا[٣]".

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، رقم(٥٠٥٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه، رقم(٣٠٨٠)، ومسلم: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم(٤٣٢٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠٠٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها، رقم(٥٠٦٥).

قوله: "على خَلْقِ رَجُلٍ واحد" رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام، وبعضهم بضمها، وكلاهما صحيح.

١٨٨٣ - وعَنْ المغيرة بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: "سَأَلَ مُوسى ﷺ ربَّهُ ما أَدْنَى أَهْلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدخِلَ أَهْلُ الجنةِ، الجنَّةَ فَيُقَالُ لَه: أَدْخُلِ الجنة. فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ كيفَ وقد نَزَلَ الناسُ منازِلَهُمْ، وأخذُوا أخذاتِهم؟ فيُقالُ له: أتَرْضى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدنيا؟ فيقول: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِك ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْله وَمِثْله، فيقولُ في الخامسة، رضيتُ رَبِّ، فيقولُ: هذا لك وعشرةُ أمثاله، ولك ما اشْتَهَتْ نفسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيقولُ: رَضيتُ رَبِّ، قال: رَبِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أُولئك الذين أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كرامَتَهُمْ بيدي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عينٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ على قلبِ بشر[1]" رواه مسلم.

١٨٨٤ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودِ رضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إنِّي لأعلمُ آخِرَ أهلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وآخرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجنَّة. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فيقولُ اللهُ عزَّ وَجلَّ لَهُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجنة، فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجعُ، فيقول: يا ربِّ وجدْتها مَلأَى فيقول الله عزَّ وجلَّ له: اذهبْ فادْخُلِ الجنة، فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجعُ، فيقولُ: يا ربِّ وجدْتُها ملأى، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ لَهُ: اذْهَبْ

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(٢٧٦).

فادْخُلِ الجنة، فإنَّ لك مثل الدُّنْيَا وعشرة أمثالها أو أنَّ لك مِثْلَ عَشْرةِ أمثالِ الدُّنْيَا، فيقول: أتسخَرُ بي، أو تضحكُ بي وأنتَ الملك" قال: فلقدْ رأيتُ رسول الله ﷺ ضحكَ حَتَّى بَدَتْ نواجِذُهُ فكان يقول: ذلك أدْنَى أهلِ الجنَّةِ منزلةً[١]" متفق عليه.

الشـرح

هذه أحاديث كثيرة ذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - في بيان نعيم أهل الجنة فمنها: أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وهذه أول زمرة وهي أفضل الزمر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أول أهل الجنة دخولاً هم هذه الأمة، ثم الذين يلونهم على كوكب دري في السماء يعني: مثل أضوء نجم في السماء، ثم الذين يلونهم على حسب مراتبهم، وفيه أيضًا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون لكنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون، لأن جميع فضلاتهم ليست كفضلات أهل الدنيا، إنما فضلاتهم تخرج رشحًا يعني: كالعرق، أطيب من ريح المسك وجشاء أطيب من رائحة المسك، لأنهم في نعيم مقيم.

ثم ذكر أيضًا أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم وكلها تدل على فضل هذا النعيم - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهله - أما أهل النار والعياذ بالله فهم أسفل من ذلك، وحق لعين ترجو الجنة ألا تنام، وحق لعين تخشى النار ألا

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم(٦٠٨٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجًا، رقم(٢٧٢).

تنام، لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولكن حكمة من الله – عزَّ وجلَّ – وابتلاء وامتحان أن الناس في هذه الدنيا كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها مع أن الدنيا هي التي خلقت لهم، فالإنسان إنما خلق للآخرة فهي الدار الباقية التي لا تفنى، فإما في جحيم وسعير – والعياذ بالله – وإما في نعيم مقيم، نسأل الله لنا ولكم أن نكون من الصالحين الذين أعد الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

١٨٨٥ – وعَنْ أبي موسى رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: "إنَّ للمُؤمِنِ في الجنَّةِ لَخيْمَةً من لُؤْلُؤَةٍ واحدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّماءِ سِتُّون مِيلاً للمُؤْمِنِ فِيها أهْلُون، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المؤمِنُ فَلاَ يَرى بَعْضُهُمْ بَعْضًا[(١)]".

متفق عليه "الميلُ" : ستَّة آلاف ذراع.

١٨٨٦ – وعَنْ أبي سَعيدٍ الخدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: "إنَّ في الجَنَّةِ لشجرة يسيرُ الرَّاكِبُ الجوَّادُ المُضَمَّرُ السريعُ مائة سنةٍ ما يقطعُها[(٢)]" متفق عليه.

ورَوَيَاهُ في الصحيحين أيضًا من رواية أبي هُريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠٠٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام الجنة، رقم(٥٠٧٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم(٦٠٦٩)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، رقم(٥٠٥٦).

"يسِيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ سنةٍ ما يَقْطَعُهَا[١]".

١٨٨٧ - وَعَنهُ عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: "إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءُوْنَ أهلَ الغُرَفِ من فوقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَو المَغْرِبِ لتفاضلُ ما بينَهُمْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبِيَاءِ لا يبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: "بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيدِه رجالٌ آمَنُوا بالله وصدَّقُوا المرسلين[٢]" متفق عليه.

١٨٨٨ - وَعَنْ أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "لقابُ قَوسٍ في الجنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عليه الشمسُ أو تغربُ[٣]" متفق عليه.

١٨٨٩ - وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقًا يأْتونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ ريحُ الشمالِ، فتَحْثُوا في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيزدَادُون حُسْنًا وجمالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسنًا وجمالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُم: والله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسنًا وجمالاً! فيقولون: وأنتم والله لقدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدنا حُسْنًا وجمالاً![٤]" رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾، رقم(٤٥٠٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، رقم(٥٠٥٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠١٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل العرف، رقم(٥٠٥٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٢٥٨٤).

(٤) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم، رقم(٥٠٦١).

١٨٩٠ – وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَهلَ الجنة ليتراءَونَ الغُرَفَ مِنْ فَوْقِهم فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتراءَوْنَ الكَوْكَب في السَّماء[1]" متفق عليه.

١٨٩١ – وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مِنَ النبيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيه الجَنَّةَ حتىَّ انْتَهى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِه: "فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر" ثُمَّ قرأ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٦ – ١٧][2].

١٨٩٢ – وَعَنْ أَبي سعيدٍ وأبي هُريْرَةَ رضي الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: "إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا، فَلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا، فَلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أن تشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تَنْعَمُوا، فلا تَبْأَسُوا أبدًا[3]" رواه مسلم.

الشـــرح

هذه الأحاديث في بيان تفصيل ما لأهل الجنة من النعيم فيها. فمنها أن

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم(٦٠٧١)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم(٥٠٥٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، رقم(٥٠٥٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم(٥٠٦٩).

النبي ﷺ ذكر أن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، وأن له فيها أهلين لا يرى بعضهم بعضًا، وذلك – والله أعلم – لسعتها وحسن غرفها وسترها.

ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن الجنة ينادي فيهم مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وذكر الحديث: أي أنهم في نعيم دائم لا يخافون الموت ولا السقم ولا انقطاع ما هم فيه من النعيم، كما قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[الواقعة: ٣٢-٣٣]. وأن لهم سوقًا كل يوم جمعة – يعني: في مقدار ذلك – وإلا فالجنة ليس فيها صلاة ولا جمعة ولا غيرها، وأن ريح الشمال تهب فتزيدهم حسنًا وجمالاً. والمراد: ريح تشبه ريح الشمال في برودتها ولذاتها.

وكل هذا المذكور في هذه الأحاديث توجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار، جعلنا الله وإياكم من أهلها؛ وأحسن ما فيها وأنعم ما فيها أنهم ينظرون إلى الله- عزَّ وجلَّ – نظرًا حقيقيًّا كما قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة: ٢٢ – ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]. والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من أهلها.

١٨٩٤ – وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقُولُ لِأهلِ الجنَّةِ: يَا أَهْلَ الجنَّةِ، فَيَقُولون: لبيكَ ربَّنا

وسعدَيْكَ، والخيرُ في يديكَ، فَيَقُوْلُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: وَمَا لنَا لَا نَرْضَى يا ربَّنَا وقد أعطيْتَنَا ما لم تُعْطِ أحدًا من خَلْقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكمْ بعدَهُ أبدًا(١)" متفق عليه.

١٨٩٥ - وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَنَظَرَ إلى القَمَرِ ليلةَ البدْرِ، وقالَ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ ربَّكُم عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمرَ، لَا تُضَامُون في رُؤيتِهِ(٢)" متفق عليه.

١٨٩٦ - وعن صُهيب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: "إِذَا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ يَقولُ اللهُ تَبارك وَتَعَالى: تُرِيدُون شَيئًا أزيدُكُمْ؟ فَيَقُولُون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهنا؟ أَلم تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فيكشفُ الحجاب، فما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهم من النَّظَرِ إلى ربِّهم(٣)" رواه مسلم.

قَال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٩ - ١٠].

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، رقم(٦٩٦٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم(٥٠٥٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم(١٠٠٢).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم(٢٦٦).

الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لَولا أَنْ هدانَا اللهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل محمد، كما صلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ، وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

قال مؤلفه يحي النووي غفر الله له: "فَرَغْتُ منه يوم الإثنين رابع عشر رمضان سنة سبعين وستمائة".

الشــرح

ذكر المؤلف الحافظ النووي في سياق الأحاديث الواردة في نعيم الجنة في كتابه رياض الصالحين الذي ختم به الكتاب - رحمه الله- ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا فألاً طيبًا فيدخله وإيانا جنة النعيم. ذكر حديثين في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة في الجنة، وذكر قبلهما أن الله تعالى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبدًا، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الأمة رحمهم الله ولم ينكرها إلا من أعمى الله قلبه- والعياذ بالله - ولهذا كانت هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة عن النبيِّ ﷺ يقول: عزَّ وجلَّ - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد فسر أعلم الخلق بكتاب الله محمد رسول الله ﷺ الزيادة: أنها النظر إلى وجه الله - عزَّ وجلَّ - وقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]. أي ينظرون ما

أعدَّ الله لهم من النعيم وأعلاه النظر إلى وجه الله، وقال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]. والمزيد هو الزيادة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ التي فسَّرها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾. يدل على أن الأبصار تراه ولكنها لا تدركه، لأنه جل وعلا أعظم من أن تدركه الأبصار.

فهذه خمس آيات في كتاب الله كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا ينكر هذا إلا ضال فنسأل الله تعالى أن يهديه إلى الحق، لأنه لا ينكر هذا إ لا معاند، إذ إن الآيات واضحة، أما الأحاديث فإنها متواترة كما قال الناظم(١):

مما تواتر حديث من كذبْ ومن بنى لله بيتًا واحتسبْ
ورؤية شفاعة والحوضُ ومسح خفين وهذي بعضُ

رؤية: يعني رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة. ومن ذلك أن النبي ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته" وقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب" والأحاديث كثيرة جدًّا، من أحب أن يطلع عليها فليرجع إلى كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) لابن القيم – رحمه الله –.

---

(١) ذكرها الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ونسبها إلى التاودي في حواشيه على صحيح البخاري ص(١٨)

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم النظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم إنه على كل شيء قدير. والله ولي التوفيق.

* * *

وبهذا انتهى شرح كتاب (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله نسأل أن ينفع به وأن يجزل المثوبة والأجر لمؤلفه الحافظ محيي الدين أبوزكريا النووي المتوفى عام ٦٧٦هـ، وشارحه العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المتوفى عام ١٤٢١هـ وأن يرحمهما رحمة واسعة ويسبغ عليهما مغفرته ورضوانه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *